المحاضرة السادسة : تعريفات (القصيدة ، الارجوزة ،الحولية ، الملحمة .....)

تعد القصيدة العربية ، أشهر ما جادت به قرائح الشعراء ،لكن هذا المصطلح تتداخل معه مرادفات كثيرة ، و تتعالق معه معاني متناسلة، غير أن ثمة حد فاصل يظهر به كل مصطلح مستقل بمفهومه الموضوع له.

1. تعريف القصيدة:

القصيدة لغة: فعلية بمعنى فاعلة؛ إذ إنها قاصدة تبيين المعنى الذي سيقت له، وقيل: بمعنى مفعولة، إذ الشاعر يقصد تأليفها وتهذيبها.

واصطلاحا: مجموع أبيات من بحر واحد، مستوية في عدد الأجزاء، وفي جواز ما يجوز فيها، ولزوم ما يلزم، وامتناع ما يمتنع . فلا تسمى (قصيدة) الأبيات الشعرية التي من بحور متعددة، ولا الأبيات الشعرية التي من بحر واحد ولكنها غير مستوية في عدد الأجزاء؛ أي: بعضها تام وبعضها مجزوء التر.

ومقدار القصيدة سبعة أبيات فما فوق. فإذا كانت الأبيات أقل من سبعة إلى ثلاثة فالعرب تسميها: قطعة، وتسمي البيت الواحد: يتيما، والبيتين: نتفه.[1]

2- القصيد:

هو من الشعر ما تم شطرا أبياته واستقاما فلم يكن مشطورا ولا منهوكا و لا مضطربا في الوزن بكثرة الزحافات والعلل ، وعلى ذلك يدخل في القصيد تام الرجز نحو قول الشاعر :

القلب منها مستريح سالم والقلب مني جاهد مجهود

وأما الأخفش الأوسط فقد خصص القصيد ببعض بحور الشعر مثل الطويل والبسيط التام والكامل التام والمديد التام والوافر التام والرجز التام

ومن ثم فإن كل ما نظم على الأوزان القصيرة كالمضارع والمقتضب والمجتث وما دخله الجزء والشطر والنهك فلا يسمى قصيدا إلا تجاوزا لأن العرب لم ينظموا في الأغراض التي اهتموا بها كالحماسة

[1] سعادة لعلى ، دروس في العروض وموسيقى الشعر ، جامعة محمد خيضربسكرة، ص1

والفخر والهجاء والمدح والرثاء إلخ . إلا في البحور التامة التي تتسع لاستقصاء ما يملأ النفس من المعاني والعواطف وتعديد المفاخر والمآثر مما تنبسط له نفس الشاعر ، ويمتد مع نفسه [2]

3-تعريف الأرجوزة:

الأرجوزة في الشعر العربي قصيدة من بحر الرجز. وهو شعر يسهل في السمع ويقع في النفس لخفته. كما أنه نوع من أنواع الشعر يكون كل مصراع منه مفردا، وتسمى قصائده أراجيز، واحدتها أرجوزة. والأرجوزة غير القصيدة، لأن القصيدة يكون البيت فيها مكونا من مصراعين. والشعر العربي كله إما رجز وإما قصيد. ويسمى ناظم الرجز راجزا، أما قائل القصيد فيسمى شاعرا. قال الشاعر:

أرَجْزا تريد أم قريضا كُلاّ أجيد مستريضا

والرجز بحر من بحور الشعر معروف، وزنه التام كما يلي:

مستفعلن مستفعلن مستفعلن

مستفعلن مستفعلن مستفعلن[3]

ويأتي تاما ومثاله:[4]

يا خائف الموت و أنت سائقه تفرّ من شيء و أنت ذائقه

فإذا ذهب منه جزء سمي مجزوءا، وهو الذي يبقي على أربع تفعيلات:[5]

تالله أنسى حبّها حياتنا أو أُ قبَرُ

فإذا بقي على ثلاث تفعيلات سمي مشطورا. ومنه أرجوزة لحافظ إبراهيم يقول فيها:[6]

تحية كالورد في الأكمام

يسوقها شوق إليكم نامِ

فإذا بقي البيت على تفعيلتين سمي منهوكا، ومنه بعض

---

[2] نوار حلاسة ، محاضرات في العروض وموسيقى الشعر ، ومصادر اللغة و الادب ،جامعة الاخوة منتوري ، قسنطينة 1 ، ص11

[3] سعادة لعلى ،مرجع سابق ، ص1 ، 2

[4] صلاح يوسف عبد القادر، في العروض و الإيقاع الشعري ،مرجع سابق ، ص83

[5] مرجع نفسه ،ص 83

[6] سعادة لعلى ، مرجع نفسه ، ص2

إلهنا ما أعدلـــــك مليك كل من ملك

لبيك قد لبيت لك ما خاب عبد سألك

وقد اختصت جماعة من الرجاز بهذا النوع من الشعر حتى إنهم لم ينظموا في غيره؛ منهم العجاج راجز وابنه رؤبة. وكانوا ينظمون المدح والوصف

والنقاد يجمعون على أن أول الشعر العربي هو الرجز. وقد يسميه بعض النقاد حمار الشعر؛ لأن كل شاعر يركبه لسهولته. ولسلاسة الأراجيز في النظم استفاد منها الناظمون في الشعر التعليمي، فنظم كثير من العلماء أراجيز مشهورة، كأرجوزة أبان بن عبد الحميد اللاحقي في الفقه، وأرجوزة الشاطبي في القراءات، وأرجوزة ابن مالك (الألفية)[7]

4- المعلقة:

المعلقة وجمعها معلقات وهي من أشهر ما كتب العرب في الشعر ، وسميت معلقات وقد قيل لها معلقات لأنها مثل العقود النفيسة تعلق بالأذهان ويقال أن هذه القصائد كانت تكتب بماء الذهب وتعلق على أستار الكعبة قبل الإسلام و تعتبر هذه القصائد أروع وأنفس ما قيل في الشعر العربي القديم لذلك اهتم الناس بها ودونوها وكتبوا شروحا لها، وهي عادة ما تبدأ بذكر المحبوبة وديارها وكانت سهلة الحفظ.حلاسة13

4-1أسماء أطلقت على المعلقات:

و قيل عن الذي جمعها هو (حماد الراوية)، ويقال إنه حين رأى زهد الناس في حفظ الشعر؛ قام باختيار هذه المعلقات، وبدأ يحثهم على حفظها والتغني بها.ا

ويقال إن (حماد الراوية) هو الذي أطلق عليها اسم المعلقات، وقد أطلق عليها أيضا اسم **(السموط)، والسموط هي القلائد التي تتزين بها المرأة، وكانت المعلقات تسمى أيضا باسم (المذهبات)؛ فيقال، مثلا، عن معلقة امرئ القيس: مذهبةامرئ القيس.**

و كما أطلق عليها أيضا (السبع الطوال)، نسبة إلى عددها، أو (المشهورات السبع)

[7] مرجع سابق ،ص 2

4-2سبب تسميتها بالمعلقات:

تعددت الآراء في سبب تسميتها بالمعلقات؛ ويرى (ابن عبد ربه أن سبب تسميتها هو أنها كتبت بماء الذهب وعلقت على أستار الكعبة.

أما شوقي ضيف قام مع بعض المفكرين فنفى هذه الفكرة، ورفض هذا الرأي بقوله: إن لغة العرب كانت متداولة بينهم عن طريق السماع، لكنهم لم يكتبوها ولم يعتمدوا على تدوين أشعارهم، حتى أن القرآن الكريم لم يكتب إلا بعد وفاة الرسول.

ويضيف: إن رأي الناس بأنها علقت على أسوار الكعبة ما هو إلا تفسير لاسم معلقات فقط، ولكن كلمة معلقات تعني المقلدات والسموط، ولا يشترط أن تكون معلقة على سور ليقال إنها معلقة،[8]

5- الملحمة:

وهي قصيدة طويلة جدا قد تصل إلى آلاف الأبيات وتنظم بأسلوب قصصي تروي حادثة أو معارك بطولية قوية وقعت فعلا في التاريخ وأبطالها يتميزون بالقوة الخارقة بها عدة الآلهة الأسطورية ،وتعد ملحمة جلجامش العراقية من أقدم الملاحم الشعرية حتى الآن وموضوعها (الفناء والخلود) واليونانيون لديهم الإلياذة و الأوديسة) للشاعر الأعمى هوميروس ،وللرومان ملحمتهم (الإنيادة لفرجين ،والكوميدية الإلهية للشاعر الإيطالي (دانتي) ، وشعر العرب يخلو من الملاحم ويسمى بالشعر الغنائي.[9]خلاسة13

6- الحوليات:

الحولية هي قصيدة طويلة يكتبها الشاعر بعد حول كامل ؛ حيث يمكث عاما كاملا ينقح فيها ثم يخرجها على أجمل ما تكون القصائد ، كما كان يفعل (زهير بن أبي سلمى) في قصائده فسمي بشاعر الحوليات ،[10] وقد لاحظ القدماء ذلك وعبروا عنه عبارات مختلفة؛ فقالوا: إنه كان يصنع قصائده الطويلة في حول كامل وإنه صنع سبع حولياته، ويضيف الجاحظ في هذا القول إلى زهير نفسه، فيقول: "كان زهير بن أبي سلمى يسمي كبار قصائده الحوليات؛ ولذلك قال الحطيئة: خير الشعر الحولي المحكك "يقصد شعر أستاذه وشعره وقال الأصمعي: زهير بن أبي سلمى والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر، وكذلك كل من جود في شعره ووقف عند كل بيت قاله وأعاد فيه النظر حتى يخرج أبيات القصيدة كلها مستوية في الجودة2". ويعلق الجاحظ على صنعة زهير وشعره في موضع آخر؛

---

[8] سعادة لعلى ، مرجع سابق ، ص 3 ،4

[9] نوار حلاسة ، مرجع سابق ، ص 13

[10] نوار حلاسة ،مرجع سابق ، ص 13

فيقول: "من شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتا "كاملا" وزمنا طويلا يردد فيها نظره ويجيل فيها عقله ويقلب فيها رأيه.... وكانوا يسمون تلك القصائد الحوليات والمقلدات والمنقحات والمحكمات؛ ليصير قائلها فحلا ،وشاعرا مفلقا".)[11]

7-النقيضة:

النقائض جمع نقيضة مأخوذة ، في الأصل، من نقض البناء والحبل إذا حله ، وضده الإبرام يكون للبناء ، والحبل، والعهد، والشيء مناقضة ونقاضا خالفه ، والمناقضة في القول أن يتكلم بما يتناقض معناه ، والمناقضة في الشعر أن ينقض الشاعر الآخر ما قاله الأول حتى يجيء بغير ما قال ، والنقيضة الاسم يجمع على النقائض ، ولذلك قالوا : نقائض جرير والفرزدق

أما الصورة الاصطلاحية التي انتهى إليها هذا الفن منذ الجاهلية فالأصل فيها أن يتجه شاعر إلى آخر بقصيدة هاجيا أو مفتخرا ، فيعمد الآخر إلى الرد عليه هاجيا أو مفتخرا ملتزما البحر والقافية والروى الذي اختاره الأول ، ومعنى هذا أنه لابد من وحدة الموضوع ، فخرا، هجاء أو سياسة أو رثاء أو نسيب أو جملة من هذه الفنون المعروفة إذ كان الموضوع هو مجال المناقشة ومادة النقائض ، ولا بد من وحدة البحر فهو الشكل الموسيقي الذي يجمع بين النقيضتين و يجذب إليه الشاعر الثاني بعد أن يختاره الأول . ولا بد من وحدة الروى فلذلك هو النهاية الموسيقية المتكررة التي تعد جزءا من النظام الموسيقى العام للمناقضة . بقيت حركة الروي ، ولا بد من وحدتها أيضا إتماما لذلك التنسيق الوزني ، و إن اختلفت في بعض النقائض كما في اللاميتين : الأولى للفرزدق ومطلعها جاء حرف الروي بالضمة و الثانية لجرير فجاء بالكسرة[12]

أما المعاني والأصل العام فيها المقابلة والاختلاف لأن الشاعر الثاني همه أن يفسد على الأول معانيه فيردها عليه إن كانت هجاء ، ويزيد عليها مما يعرفه أو يخترعه ، و إن كانت فخرا كذبه فيها ، أو فسرها لصالحه هو ، أو وضع إزاءها مفاخر لنفسه وقومه وهكذا فجانب المعنى ، إذا ، هو مناط النقائض ومحورها الذي عليه تدور ، يتخذ عناصر من الأحساب ، والأنساب ، والأيام ، والمآثر ،

---

[11] أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف، الكتاب: تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي، دار المعارف عدد الأجزاء1 ، ص327

[12] احمد الشايب، تاريخ النقائض في الشعر العربي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ط2 ، 1954 ، ص2 ،3 ،4

والمثالب ؛ يقول الشاعر الأول قصيدة بهجو فيها آخر أو يفخر عليه ، ويختار لها بحر البسيط مثلا ، وقافية الراء المضمومة ، فيضطر الثاني أن يرد عليه فخره وهجاءه ،[13]

8-القصيدة اليتيمة:

اليتيمة هي القصيدة التي لم ينظم شاعر ما قصيدة أخرى غيرها . واشتهر باليتيمة في الشعر العربي الشاعر سعيد بن حميد ويكنى ب (دوقلة المنبجي)، وقد قيل بأن هذه القصيدة كانت سببا مباشرة في قتل قائلها ومنشدها . وسميت (اليتيمة) بالقصيدة القاتلة ، وقد ذاع صيتها بهذا الاسم بعد أن سميت بأسماء أخرى ك (دعد) نسبة إلى إحدى ملكات اليمن السعيد بعد أن بقي اسم قائلها مجهولا لسنين طويلة ... (ولعل تسميتها باليتيمة لكونها وحيدة لا شبيه لها نظرا لقوة سبكها وروعة تشبيهاتها ومعانيها وسلاسة صياغاتها ووضوح مقاصدها) ... وقيل أيضا بأن سبب تسميتها باليتيمة لأن قائلها لم يجري على لسانه من الشعر سوى تلك القصيدة.[14]

وذكروا في سبب نظمها أن فتاة من بنات أمير من أمراء نجد بارعة الجمال أسمها دعد ، كانت شاعرة بليغة ، وفيها أنفة. خطبها إلى أبيها جماعة كبيرة من كبار الأمراء ، وهي تأبى الزواج إلا برجل أشعر منها ، فاستحث الشعراء قرائحهم ونظموا القصائد فلم يعجبها شيء مما نظموه . وشاع خبرها في أنحاء جزيرة العرب وتحدثوا بها.

و في تهامة شاعر بليغ حدثته نفسه أن ينظم قصيدة في سبيل تلك الشاعرة. فنظم تلك القصيدة ... وركب ناقته و انتقل إلى نجد) فالتقى في طريقه بشاعر شاخص اليها لنفس السبب . وقد نظم قصيدة في دعد. فلما اجتمعا أعلم التهامي لصاحبه بقريضه ، وقرأ له قصيدته في دعد .

فرأى أن قصيدة التهامي أعلى طبقة من قصيدته ، و أنه إذا جاء بها إلى دعد أجابته الى خطبتها . فوسوس له الشيطان أن يقتل صاحبه وينتحل قصيدته فقتله . وحمل القصيدة حتى أتي نجد (كذا) ، ونزل على ذلك الأمير ، وأخبره بما حمله على المجيء . فدعا الأمير ابنته فجلست بحيث تسمع وترى . وأخذ الشاعر ينشد القصيدة بصوت عال على جاري عادتهم، علمت دعد من لهجته أنه ليس تهاميا ، ولكنها سمعت في أثناء إنشاده أبياتا تدل على أن ناظمها من تهامة . فعلت

---

[13] مرجع نفسه ،ص4

[14] سعادة لعلى ، مرجع سابق ، ص8

بنباهتها وفراستها أن الرجل قتل صاحب القصيدة وانتحل قصيدته . فصاحت بأبيها . اقتلوا هذا ، إنه قاتل بعلي ،. فقبضوا عليه ، واستنطقوه فاعترف ...[15]

[15] القصيدة اليتيمة برواية القاضي على بن المحسن التنوخي، نشر وتقديم د صلاح الدين المنجد،، دار الكتاب الجديد ، ط1 ، 1970بيروت ص 13